Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 5, 2023

Deanship of Scientific Research

The Relationship between Freedom and Justice in the Political Thought of John Rawls

Heba Ahmad Mohammad Ajlouni*

Political Science department, Prince Hussein bin Abdullah II school of International Studies, University of Jordan, Amman, Jordan.

Received: 20/2/2022
Revised: 13/5/2022
Accepted: 7/7/2022
Published: 30/9/2023

* *Corresponding author:*
mishaboooooshh@gmail.com

Citation: Ajlouni, H. A. M. . (2023). The Relationship between Freedom and Justice in the Political Thought of John Rawls. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(5), 247–256. https://doi.org/10.35516/hum.v50i5.388

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study aimed to clarify the relationship between the values of freedom and justice, by analyzing the philosophical political thought of John Rawls. Freedom and justice together constituted the main pillar in Rawls political thought.

Methods: The study used the descriptive-analytical approach, within the framework of constructivism to analyze Rawls theory of justice as fairness. That helped to reach consistent results linking freedom and justice in a mandatory way. Also, the study used the inductive method which helped to reach new logical intellectual results.

Results: The study revealed a strong link between freedom and justice, particularly by analyzing Rawls' theory of justice as fairness. Rawls emphasized that freedom is integral to a just society and skillfully balanced the relationship between the two. He demonstrated that political systems, guided by principles of justice and responsible, regulated freedom, can create a potent synergy. Rawls' strategic alignment of politics, justice, and freedom not only preserved a liberal political system but also enhanced its effectiveness with a renewed moral foundation.

Conclusions: Based on the study's findings, the key recommendation is to ensure justice prevails within all state institutions while upholding freedom as a crucial component. Freedom is vital for human dignity and aligns with human nature. Additionally, it is advised to incorporate John Rawls' philosophy as a moral and political reference.

Keywords: John Rawls, justice, freedom, dignity.

العلاقة بين الحرية والعدالة في الفكر السياسي لجون رولز

هبه أحمد محمد عجلوني*

قسم العلوم السياسيّة، كلية الأمير حسين بن عبدالله الثاني للدراسات الدولية، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن.

ملخّص

الأهداف: هدفت الدراسة إلى توضيح العلاقة بين قيمتي الحرية والعدالة كقيمتين إنسانيتين متلازمتين؛ وذلك من خلال تحليل الفكر السياسي الفلسفي لجون رولز. فالحرية والعدالة شكّلتا معًا الركيزة الأساسية في الفكر السياسي الرولزي .

المنهجيّة: استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وجرى بواسطته تحليل نظرية رولز في العدالة كإنصاف ضمن إطار النظرية البنائية؛ الأمر الذي ساعد على التوصل لنتائج وابتكارات فكرية متّسقة تربط بين قيمتي الحرية والعدالة. بالإضافة لاستخدام المنهج الاستقرائي الذي يعتمد الاستدلال الاستنتاجي للوصول لنتائج منطقية سليمة مبنية على مقدمات سليمة .

النتائج: توصلت الدراسة إلى وجود علاقة ترابطية قوية بين قيمتي الحريّة والعدالة، استطاعت الدراسة توضيحها من خلال تحليل نظرية رولز في العدالة كإنصاف وبيان مبادئها التي قرن من خلالها رولز العدالة بالحرية، التي عبّر عنها في إنجازاته بأن الحرية هي روح المجتمع العادل، ولا يمكن بحال من الأحوال فصل الروح عن الجسد. فالسياسة بالنظام والسُّلطة القائمة عليها تستطيع ترجمة مبادئ قيمة العدالة، واحترام الحرية المسؤولة المنضبطة بمعيار العدالة. بهذا الإقران المتمثل في ثالوث استراتيجي مكون من السياسة والعدالة والحرية، استطاع رولز الحفاظ على نظام سياسي ليبرالي بحُلّة أخلاقية إنسانية جديدة زادت من كفاءته وشرعيّته .

الخلاصة: من أهم التوصيات التي خلصت اليها الدراسة، أن استقرار أي نظام سياسي وتمتعه بالقدرة في الحفاظ على شرعيّته السياسية، يحتاج إلى انتهاجه العدالة في كل مؤسسات الدولة؛ مع ضرورة إسناد هذه العدالة بغطاء من الحرية التي توافق الكرامة الإنسانية وتنسجم مع الطبيعة البشرية المجبولة على الحريّة. كما أوصت بالاستناد والرجوع للفلسفة السياسيّة للمفكر والفيلسوف الإنساني جون رولز؛ كمرجع مهم في الفلسفة السياسية الأخلاقية. فنظريّته السياسيّة العدالة كإنصاف تعدّ بيئة خصبة للأبحاث والدراسات الفلسفية السياسية.

الكلمات الدالة: جون رولز، العدالة، الحرية، الكرامة.

المقدمة

تتلازم كثير من القيم ضمن علاقات يبدو من الصعب؛ بل ومن المستحيل الحديث عن إحدى هذه القيم بمعزل عن القيمة الأخرى. ومن أكثر القيم تلازمًا في المجال الفلسفي السياسي قيمتي الحرية والعدالة.

فالحريّة والعدالة كانتا مطلبان حاضران دائمًا على مر التاريخ البشري. وقد بذل البشر لأجلهما الغالي والنفيس، فمنهم من قضى نحبه في حروب طال أمدها وثقلت تبعاتها من أجل نيل شرف التوسم بالحرية والعدالة. كما كان لهاتين القيمتين مكانة مميّزة عند أغلب المفكرين والفلاسفة منذ بزوغ تاريخ الحضارة الإنسانية؛ ومن أبرز من تناولهما في العصر الحديث في الدراسة والبحث المثمر الدؤوب، المفكر الإنساني والفيلسوف السياسي جون رولز.

أدرك جون رولز ذو الفكر الليبرالي حقيقة مفادها بأن الحرية والعدالة قيمتان إنسانيتان تستدعيان بعضهما البعض؛ ولا يمكن بحال من الأحوال فصلهما عن بعضهما البعض. فكلاهما قيمتان تتناغمان مع الطبيعة البشريّة وتلامسان كرامة الإنسان.

يرجع تفسير اقتران العدالة بالحريّة بأن هاتان القيمتان اختص بهما الخالق بني آدم، وجعلهما هوية معبّرة عن إنسانيتهم؛ فما إن جرى خدش هذه الهويّة أو المساس بها، فقدَ الفرد جوهر إنسانيته المتمثل بكرامته؛ ليصبح بعد ذلك حيوانًا يأكل ويشرب ويتحرك ويشعر، ولكن بلا كرامة إنسانية.

استشعر فيلسوف العدالة في القرن العشرين جون رولز، خطر غياب العدالة عن المجتمع الليبرالي في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية عام 1945؛ وما رافق ذلك من غياب لقيمٍ إنسانيةٍ أخرى ملازمة للعدالة. ذلك بسبب انغماس المجتمع آنذاك في تبعات الرأسمالية التي تعود في جذورها للنفعية، التي باتت تتحكم في سلوكات الأفراد حتى تغوّلت فيهم الأنانية، وأفقدتهم القدرة على الإحساس بالآخرين، كما أفقدتهم إدراك أهميّة التعايش السليم ضمن حدود الجماعة.

ولمّا كانت الليبرالية أفضل من احتوى قيمة الحرية والاستقلالية الفردية، ووضعت الدستور الذي يكفل هذه الحرية ويحترمها؛ لم يكن لدى رولز خيارًا أفضل من الانطلاق من هذا التيّار، والعمل على ترسيخه والحفاظ عليه بتعديلات تجعله أكثر استقرارًا وكفاءة.

بدأ رولز مشروعه الإنساني الكبير في إعادة إرساء العدالة في المجتمع، وقد استغرق هذا المشروع جلّ وقته وجهده، واحتاج منه سنوات من العمل والتطوير والمتابعة، ليخرج أخيرًا بنظرية سياسيّة رصينة قابلة للتطبيق العملي؛ استطاعت ترجمة مبادئها عمليًا، بسبب ملامستها لحاجة المجتمع الى المكمّل الأخلاقي؛ الذي بغيابه تبدأ بوادر انهيار وزوال النظام، وما يتبع ذلك من انحطاط وتراجع حضاري وإنساني على كل الأصعدة.

وبهذه النظرية السياسية التي جعلت العدالة تترسخ في كل مؤسسات المجتمع، ضمن الفيلسوف المبدع جون رولز تحقيق ما كان يسعى إليه في نظريته للعدالة؛ وهو استقرار النظام والمحافظة على تبني قيمة الحرية كركيزة أساسية في المجتمع الذي تحكمه معايير العدالة.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة بانها سعت إلى تقديم إضافة معرفية للعلوم الإنسانية مفادها؛ أن فيلسوف القرن العشرين جون رولز استطاع ان يعيد لقيمتي الحرية والعدالة مكانتهما الصحيحة، وأن يؤكد طبيعة العلاقة التي تربط بينهما من خلال نظريته السياسية في العدالة كإنصاف؛ التي جسّد من خلالها العلاقة بين العدالة والحرية باقتران ثلاثي دمج فيه العدالة والحرية بالسياسة، كي يضمن ان تؤتي هذه القيم الإنسانية أُكلها. فما كان من الفكر الرولزي الإبداعي سوى اللجوء للسياسة كضمان عقلاني عملي، لتبني القيم الأخلاقية والإنسانية ذات الابعاد الطوباوية.

فرضيّة الدراسة

ترتبط الحرية بالعدالة في الفكر السياسي الرولزي بطريقة يصعب فيها فصلهما عن بعضهما البعض. كما يبدو من الإرهاص الفكري تناول إحدى القيمتين بلا مرور على القيمة الأخرى؛ فهما أقرب ما يصح به الوصف، بأنهما وجهان لعملة واحدة، لا يمكن خدش أي من هذين الوجهين أو طمسه، وذلك لضمان بأن تؤتي هذه العملة أُكلها. فالعدالة لا وجود لها بلا حريّة، والحرية بلا عدالة تغدو حالة من الفوضى والعشوائية التي تتملكها الأنانيّة التي لا دخل لها بقيمة الحرية.

أهداف الدراسة

1- تحليل الفكر الفلسفي السياسي لفيلسوف القرن العشرين جون رولز، لمعرفة البعد الإنساني الأخلاقي الإبداعي لهذا الفيلسوف، ومدى تطابق واستحقاق دراسة مبادئه وأفكاره.

2-توضيح دور الليبراليّة في تبني رولز لدراسة القيم الإنسانية والأخلاقية؛ لعدّها مدخلًا اساسيًا لتحليل الفكر الرولزي.

3-بيان مكانة الحرية لدى جون رولز، وعلاقة هذه المكانة بإثبات فرضية الدراسة في حتميّة وجود قيمة العدالة كمتطلب وحاضر أساسي مع قيمة الحرية.

4-بيان مكانة العدالة في الفكر السياسي الرولزي، وانعكاس ذلك على قدرته في صياغة نظريته السياسية في العدالة كإنصاف. وبيان دور هذه النظرية في إثبات مكانة الحريّة، وعلاقتها الترابطية مع العدالة.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في تناول الثنائيات التي تحتاج إلى قدرة توليفية تستطيع التوفيق بين المفاهيم التي تحمل طابع التناقض الفلسفي في تحليلها. فالعدالة كقيمة أخلاقية ذات بعد انضباطي، والحرية كقيمة إنسانية ببعدها المفاهيمي الواسع ذي الروافد المتنوعة، والشرعية المتمثلة بالسُّلطة المستندة إلى القوة والنفوذ، كلها مفاهيم تحتاج إلى تحليل فكري عميق. وقلة من الفلاسفة والمفكرين بتجاربهم المختلفة، من استطاع الموازنة بين مثل هذه القيم؛ ليكون بتجربته سندًا ومرجعًا يمكن اللجوء اليه في الأبحاث والدراسات.

تساؤلات الدراسة

1- كيف استطاعت الفلسفة السياسيّة لرولز في المساهمة بصياغة نظريّته السياسية في العدالة ؟

2-ما دور الليبرالية في تبني رولز للقيم الإنسانية والأخلاقية الحسّاسة كالعدالة والحرية؟

3-ما هي مكانة الحرية لدى جون رولز، وما علاقة هذه المكانة بإثبات العلاقة الترابطية القويّة بين العدالة والحرية؟

4-كيف أثّرت المكانة التي احتلّتها العدالة في الفكر السياسي الرولزي، على قدرته في صياغة نظريته السياسيّة في العدالة كإنصاف ؟

منهجيّة الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لقدرة هذا المنهج على منح الباحث مساحة فكرية من التعمق في القضايا وتحليلها. وقد جرى استخدام هذا المنهج ضمن إطار النظرية البنائية؛ مما يتيح للباحث تفكيك مكامن القوة لكثير من المفاهيم والمصطلحات، كما يمنحه قدرة على الربط بين الأحداث، والوصول لعلاقات بين كثير من المفاهيم؛ الأمر الذي يساعد على التوصل لنتائج وابتكارات فكرية جديدة. بالإضافة لاستخدام المنهج الاستقرائي الذي يعتمد الاستدلال الاستنتاجي للوصول لنتائج منطقية سليمة مبنية على مقدمات سليمة.

الدراسات السابقة

الدراسات العربية

-دراسة تتيات،علي (2018)، **الذات بين التقدير والاحترام عند جون رولز**:

تناولت الدراسة قيمة احترام الذات كقيمة جوهرية في الخيرات الأولية الاجتماعية، ودور ذلك في اختيار مبادئ العدالة. وبيّنت أن أساس احترام الذات في مجتمع عادل هو التوزيع المؤكد للحقوق والحريات الاساسية، وأن احترام الذات عند الفيلسوف رولز هو الاكثر اهمية في الاعمال الاجتماعية الجيدة لانها صفة تتميز بالمركزية لدى البشر.

-دراسة البجدياني،ياسين(2017)، نظرية العدالة كإنصاف عند جون رولز: المنطلقات الفلسفية والمرتكزات الاساسية: خلصت الدراسة الى ان نظرية العدالة كإنصاف نظرية متميزة ذات طابع تتويجي للفلسفات التعاقدية التنويرية، وهي تمثل تصور سياسي محض. وبينت الدراسة حسب ما خلصت إليه من وجهة نظرها بان رولز لم ينجح في التوفيق بين الحرية والمساواة بسبب توجهه الليبرالي الذي يعطي أولوية للحرية.

-دراسة ضاهر،عادل(2014)، **دراسة الليبرالية السياسية في فلسفة جون رولز**:

تناولت الدراسة المحاولات العديدة الفيلسوف جون رولز في التعديلات والتطويرات لتصوره حول مفهوم العدالة. ومحاولته تجنب الافتراضات الفلسفية التي أدت دورا مهما في كتابه نظرية العدالة. والتركيز على تصور محايد فلسفيًا للعدالة من خلال أخذه في الاعتبار لظاهرة التعددية في الليبرالية السياسية. وبيان أن المطلوب صياغة شروط ضرورية لتحقيق الإجماع المتشابك في مجتمع ذات تعددية. كما تحدثت الدراسة عن أهمية نظرية العدالة وتناولها من قبل الكثير من المفكرين في مختلف المجالات والتخصصات.

الدراسات الأجنبية

-دراسة (Zeifert,Anna&Cenci,Daniel&Tonel,Rodrigo,2019) بعنوان Freedom and Equality in John Rawls Theory of Justice، هدفت هذه الدراسة إلى بيان أهمية مفهومي الحرية والمساواة كعناصر توجيهية لمبادئ العدالة في نظرية رولز. وحاولت الدراسة توضيح إمكانية التوفيق بين المفاهيم المختلفة للخير، وبيان أهمية العدالة في المجتمع لتجاوز الصراع بين مفاهيم الخير غير المعقولة. بالإضافة الى تركيز الدراسة على تأكيد جون رولز على أهمية دور المؤسسات كبنية أساسية للمجتمع، لتحديد حدة النزاعات، وزيادة التفاعلات والتعاون الإيجابي في المجتمع.

مصطلحات الدراسة

- **العدالة (Justice)**

-**العدالة**: لغة من الفعل عدل وعدل الشيء بمعنى أقامه وسواه ووازنه. والعدل: الإنصاف، وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه ،والعدل:المثل والنظير والجزاء (المعجم الوسيط،2004)

-**العدالة** عند جون رولز: هي الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعيّة، وهي الحقيقة للأنظمة الفكريّة، وأي نظريّة تخلو من العدالة لا بدّ من رفضها (رولز،2011).

- **الحرية (Freedom)**

-الحريّة: الحرية لغة النقاء والخلوص من الشوائب، والحُر من الأشياء أفضلها. والحرُّ نقيض العبد، والحريّة تعني العتق (السيف،2017).

-الحريّة في العالم الغربي عمومًا: التخلص من كل القيود، مهما كانت والقدرة على الاختيار والتصرف بمحض إرادة الفرد، وعلى الحكومة الحفاظ على هذه الحرية وحمايتها (السيف،2017).

- **الكرامة الإنسانية (Dignity)**

قيمة اصيلة، تعدّ أحد اهم المقومات التي تتأتى معها إنسانة الانسان، وبغيابها تغيب إنسانية الانسان، ترسخ هذه القيمة وحدها الشعور بأهمية الحياة، واستحقاقها للحياة. وهي مهمة للفرد والدولة، فهي تبدأ من الفرد وتنتهي بالدولة. فلا كرامة لدولة انتهكت كرامة افرادها (الرفاعي،2018).

- **الشرعية السياسية (Legitimacy)**

الشرعية السياسية يعرفها ماكس فيبر بأنها معتقدات الناس تجاه السلطة، وهذه المعتقدات تمنح السلطة السياسية الهيبة والرغبة في الطاعة. وهي تعني القبول بالنظام السياسي والامتثال لأوامره، ولها ثلاثة مصادر:1-التقاليد 2 -كاريزما الحاكم ،3-عقلانية سيادة القانون.

وترتبط الشرعية السياسية بمفهومها المعياري بتبرير السلطة السياسية ويعرفها البعض بأنها الحد الأدنى من العدالة. ووفق تعريف جون لوك فإن الشرعية السياسية تعتمد في الدولة المدنية على التداول والانتقال السلمي والصحيح للسلطة (فابيان،2020).

أولًا: نبذة عن حياة الفيلسوف جون رولز

جون رولز من أشهر فلاسفة السياسة في العصر الحديث، عمل أستاذًا في جامعة هارفرد. يعدّ جون رولز من منظرّي ومؤسسي الليبراليّة الاجتماعية، فقد اهتمّ بالعدالة الاجتماعية، واعتبره جوناثان وولف الفيلسوف الأول الأكثر أهمية في القرن العشرين؛ فاسمه يتمتع بشهرة وثقة كبيرة لدى محاكم القانون في أميركا وغيرها، كما يشهد له كثير من السياسيّن بالحنكة السياسية والإبداع والتّميز في إرساء جذور العدالة الواقعيّة في عالمنا المعاصر بعد أن غابت عنه لفترة طويلة، من خلال نظريّته في العدالة التي أصبحت مدخلًا ومرشدًا لكثير من النظريّات السياسيّة في العصر الحديث. فقد استطاع رولز من خلال نظريته في العدالة أن يضيف للفلسفة صبغة اليوتوبيا الواقعيّة، ليعيد للفلسفة السياسيّة مكانتها التي تستحقها. لذلك احتلّ رولز مكانة مميزة عالميًّا لحسه الإنساني المتوافق مع متطلبات الفرد ككائن أخلاقي عقلاني يسعى نحو تحقيق السلام والانسجام الذاتي، من خلال التزامه بالمبادئ والقيم الإنسانية التي جبلت عليها فطرته.

عانى رولز من طفولة قاسية فقد فيها أفرادًا من أسرته؛ وربما قد لعبت هذه الطفولة- كما يؤكد كونفوشيوس باستمراريّة انعكاس تأثير تبعات الطفولة على شخصية الفرد- دور كبير في بناء ميول رولز نحو الفلسفة الإنسانيّة الأخلاقيّة. تخرّج رولز عام 1939 من جامعة برينستون بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، ثم خدم كعسكري أمريكي في الحرب العالمية الثّانية، وشهد ببصيرته الإنسانيّة العقلانيّة ويلاتها وتبعاتها، ولربما كان لذلك أيضًا درو كبير في تحفيز وصقل توجهاته الديونتولوجية نحو الشعور بضرورة المشاركة في محاولة تحقيق السّلم والاستقرار الإنساني. بعد ذلك حصل رولز على شهادة الدكتوراة عام 1946 في الفلسفة الأخلاقية. ومن أشهر مؤلفاته "العدالة كإنصاف"، والليبرالية السياسيّة"، و"قانون الشّعوب". وقد تأثر الفكر الرولزي في فكر جون لوك وروسو وكانط وستيورات ميل، وداروين، وهارت وغيرهم (John Rawls ,https://ar.m.wikipedia.org).

وكان رولز بتأثره الواضح في هؤلاء المفكرين واستفادته بعقلانيّة وانفتاح على علومهم وأفكارهم نموذجًا للإنسان الحكيم والشخصية ذات المدلولات الإبداعيّة، فالدراسات السيكولوجية الحديثة تقول بأن شخصاً بفكره، لديه انفتاح ومرونة واعتقاد جازم بمجتمع عادل، وانهماك عقلي وقيم لا تسلطية ترجع لتياره الليبرالي الديمقراطي، وانفتاحه على خبرات وعلوم الآخرين كلها عوامل ومؤشرات للإبداع وسعة العقل.

ثانيًا: تحليل الفكر والفلسفة السياسية لجون رولز

تتأكد ابداعيّة الفكر الرولزي، من خلال أسلوبه في التفكير اليانوسي(Janusian Thinking). حيث يتجلى هذا التفكير الإبداعي في قدرة رولز على استخدام التصورات المتناقضة والمتضادة في وقت واحد للوصول إلى فكرة تكامل الأضداد المطلوبة لإنجاز البناء الكامل المتماسك (Rothenberg,1971). فالتفكير الإبداعي القادر على إيجاد التكامل بين النقائض بدل الوقوف عند نقطة الاختلاف؛ هو ما ميّز الفكر الرولزي الذي جعل رولز يتناول الثنائيات بتحليل فلسفي بنيوي عميق يفضي إلى الوصول لتوليفات قوية تنتج كمحصلة عن هذه الثنائيات.

لقد تناول رولز قضية العدالة والحرية، بوعي وعقلانية حاملًا في تفكيره التصورات المتناقضة لتياري الاشتراكية والليبرالية، ليصل لنموذج بنائي متّسق يُبقي فيه على الليبرالية التي تتبنى قيمة الحرية، بتعديلات مستمّدة من الاشتراكية للوصول في النهاية إلى نظرية سياسية عمليّة جديدة. فجون رولز لديه من القدرات العقلية الإبداعية، والسمات الشخصيّة ما يجعل من فلسفته فلسفة فريدة فيها من المقدرة التحليلية والبنيوية ما يجعلها تستحق الدراسة.(الأنصاري،2016).

وبالرغم من أن المفكر والفيلسوف السياسي الكبير روبرت نوزيك كان من الناقدين المنهجيين لنظرية رولز في العدالة-إذ يمكن عدّه قطب الليبرالية اليميني- إلا أنه اعترف بمكانة زميله رولز الذي يمكن عدّه قطب الليبرالية اليساري؛ عندما قال بأن الفلاسفة السياسيين عليهم بعد أن وضع رولز نظريته في العدالة، إما العمل بها أو بيان المبرّرات والأسباب لترك العمل ضمن إطارها.(ركح،2019)

إن ذلك يحفّز الباحثين في مختلف الحقول، ويدفعهم إلى دراسة وتحليل مثل هذا الفكر، والاستفادة من مخرجاته وأعماله الإبداعية للاستفادة منها على المستوى الإنساني. كما يجعل من فلسفته وأفكاره بيئة خصبة في مجال البحث العلمي للمفكرين في مختلف المجالات لغزارة وعمق فكره المعرفي.

إن جون رولز يتبع منهجية البنائية التي يبني علومه فيها كتتابع نسقي تراكمي تسلسليّ مرن مستفيدًا من نجاحات من سبقوه من صانعي الأمجاد والإنجازات الإنسانيّة، مع وضع بصمة متميزة تُخلّد اسمه لتتذكره البشريّة كلما جاء ذِكر الإنجاز الذي حققّه. فرولز لا يترك أعماله وفق المنهج البنائي كمسلمات نظريّة، بل يبقى في حالة متابعة وتعديل ومراجعة لأعماله لتصبح قابلة للتطبيق العملي. فقد أمضى ما يقارب خمسين عامًا للخروج بنظريته النهائية في العدالة، ليصبح هذا الإنجاز لجون رولز اليوم عطاءً مميّزًا للإنسانيّة في مجال العدالة، وغدا اسمه مرتبطًا بالعدالة والأخلاق والقيم الإنسانية؛ ليكون رولز فيلسوف القرن العشرين بإنسانيته وفلسفته الواقعية الاخلاقية. فقد أعاد الأمل لعالم الأخلاق والقيم الإنسانية في مجتمعه، وفي العالم الغربي بعد أن أطفأته ماديّات العصر الحديث وصراعات الأنظمة، وسعيها لتثبيت أفكارها ومبادئها على حساب الآخرين. لقد أدى انحلال القيم الأخلاقية وتشرذم الحرية بلا انضباط مسؤول وتزامن مع العدالة، إلى إحلال الطّغيان والظلم والتّجرد من الإنسانيّة محلّها لتنتهي الحالة بعدم استقرار وانهيار الأنظمة والمجتمعات التي فقدت كنوز القيم الإنسانية والأخلاقية.

تعدّ فلسفة رولز السياسية مزيجًا من المبادئ المعياريّة والعقلانيّة معًا، فهي ليست فلسفة سياسية أخلاقية مجرّدة. إن الفلسفة عند رولز تلتزم مبدًا أخلاقيًا عالميًا واحدًا يعظّم الفائدة عند الجميع، فهو ينطبق على الإجراءات الفرديّة والدساتير السياسية والعلاقات الدولية. فيرى الفيلسوف رولز أن المبادئ الصحيحة في كل ميدان تعتمد على وكلائه وقوانينه الخاصّة. لذلك أبدع رولز في إعادة الدور المحوري للفلسفة الاخلاقية في السياسة، بعد أن كادت تفارقه. كما أنعش رولز الروح التحليلية المستندة للاستقراء العلمي التحليلي كفلسفة تحليلية عقلانيّة في عالم السياسة.

وللفلسفة السياسيّة عند رولز أربعة أدوار:

1-دور عملي يقترح أسبابًا للاتفاق المنطقي عندما تسبب الاختلافات السياسية صراعات عنيفة. ويتأثر رولز في فلسفته هذه بهوبز في الليفياثان كمحاولة لحل شكل النظام في الحرب الأهليّة الإنجليزية. ورسالة لوك في التسامح كرد على الحروب الدينية.

2-مساعدة الأفراد على معرفة وإدارة أنفسهم في مجتمعاتهم، هذا الدور إطارًا واحدًا للإجابة عن التساؤلات حول كيفية ارتباط الأشخاص ببعضهم البعض.

3-التحقيق في حدود القدرات السياسيّة، وعمل الترتيبات السياسيّة العمليّة التي يمكن أن تنال دعم الأفراد، وقد تكون هذه الفلسفة يوتوبية يمكن تصويرها لنظام اجتماعي هو أفضل ما يمكن أن يجري الوصول إليه.

4-المصالحة بإحباط الصراعات في المجتمع من خلال إبراز مؤسسات المجتمع بصورة عقلانيّة، لأن الحياة البشريّة ليست في طبيعتها الظلم والاستبداد والتحيز والبعد عن العدالة(John Rawls philosophy https://plato.stanford.edu)

فالسياسة عند رولز تعالج مجالين:1-مجتمع ديمقراطي قائم بذاته يتطور وتنتقل مبادئه عبر الأجيال.

2-مجتمع أممي يحتوي بداخله على المجتمع الديمقراطي الذي يعدّ عضوًا منه.

تتضمن فلسفة رولز السياسيّة على النظرية المثالية وغير المثالية كثنائية تعود قارئ الفكر الرولزي على ملاحظتها.1- فالنظرية المثالية تفترض أن جميع الجهات الفاعلة (المواطن والمجتمع) على استعداد للانصياع للمبادئ التي يجري اختيارها، لذلك فالنظرية المثالية تُخلّص المجتمع من احتمال إمكانيّة تجاوز القانون من قِبل الفرد بارتكاب الجرائم، أو من قِبَل المجتمع بارتكاب الحروب وغيرها.

2-النظريّة المثاليّة تفترض وجود ظروف اجتماعيّة ملائمة ومناسبة بالحد المعقول، حيث يستطيع الأفراد والمجتمع الالتزام بشروط التعايش السياسي. وهذه المثالية أقرب للترنسندنتالية الكانطية التي تفترض وجود الخير المسبق الذي يدفع الناس للتعايش

أما النظريّة غير المثاليّة تمكّن المواطنين أن يكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، وصياغة مبادئ غير مثاليّة لتوفير الظروف الصحيحة ومعرفة المبادئ المثاليّة للعلاقات الدولية وفهم المجتمع الدولي والدول التي ترفض السلام العالمي وكيفية التصرف مع الدولة الفاشلة.

تهدف فلسفة رولز السياسيّة للوصول إلى مسوّغات حول كيفية سير الحياة السياسية. فرولز يعدّ أن تبرير الفرد لقناعاته السياسيّة يعتمد على التوازن التأملي الذي انتهجه رولز كتقنية استفاد منها في طريقة التفكير البنائي الرولزي. ففي التوازن الانعكاسي يجري تفسير الأحكام السياسية كالتطرف الديني.

إن الفيلسوف جون رولز لديه القدرة على الجمع بين النقائض، بفلسفة تحليلية تستند إلى العقلانية والمعقولية ضمن إطار القبول العام. وهذا ما

ميّز الفلسفة الرولزية وجعلها قادرة على الانتقال بالفلسفة من مرحلة التصور الفكري إلى الترجمة الواقعية البعيدة عن الميتافيزيقيا؛ ليصبح بالإمكان تطبيق مبادئها في الواقع العملي.

2.1الليبرالية مدخل أساسي لتحليل الفكر السياسي الرولزي

الليبراليّة هي منظومة قيم وتوجهات تعدّ نسبيًّا قيمًا غير مثيرة للجدل والرّفض، وتقوم في جوهرها على الحريّة والاستقلاليّة والمساواة. وتعود انطلاقتها بقوّة وتوسعها إلى المفكر جون لوك في القرن السابع عشر بالرغم من وجود الكثير من المفكرين الذين مثلّوها ودافعوا عنها بقوة مثل كانط، بانيه وروسو في القرن الثامن عشر بالإضافة إلى رولز ودوركن في العصر الحديث.

ينتمي جون رولز إلى المدرسة الليبرالية التي تستند إلى النفعية، التي أرسى جذورها جيرمي بنثام وتحدّث عنها بإسهاب ستيورات ميل. فقد عّرف ميل النفعيّة، بأنها فلسفة أخلاقية ونظرية إنسانوتية ترفض المقاييس الأخلاقية الشائعة التي تعتمد مبادئ الفلسفة الاجتماعية والمعتقدات الدينية. وهي تعني منذ عهد إيبقور إلى بنثام وستيورات مل، البعد عن الألم والحصول على اللذة وتحقيق أكبر قدر من السعادة (Greatest happiness) (مل، 2012).

إن تبنّي رولز وتأثره في كل مبادئ وقيم الليبرالية وفي مقدمتها الحريّة، أحاطته بغطاء علمي أكاديميّ رصين، ساعده على الإبحار والإسهاب في عالم العدالة فكريًّا وفلسفيًّا، كما ساعده أيضًا على تجنب واستدراك الآثار الجانبيّة التي كانت تشكل تحديًّا صعبًا للمجتمعات الليبرالية الرأسمالية في ذلك الوقت. فكما قال ستيوارت ميل بأن الفرد الذي ينشأ في بيئة تتمتع بالحرية والديمقراطية واحترام الآخرين لديه الفرصة بأن يكون قادرًا على التميز والإبداع، كما تمنحه هذه البيئة حسًّا إنسانيًّا تجاه القضايا الإنسانيّة. (مل،1996).

إن تركيز مذهب النفعية على تحقيق السعادة واللذة للفرد، ما هو إلا مدخل للبحث عن الحرية الفردية التي من شأنها وحدها أن تمنح صاحبها الخيرات التي يريدها، بالقدر الذي يتمتع به ويملكه من الحريّة. هنا بدأت العلاقة تتضارب بين حرية الفرد والمجتمع وبدأت النظريات والأفكار الفلسفية تبحث عن حل توافقي دون المساس بجوهر الحرية لمحاولة الوصول لحالة التوازن.

يعود الانتماء الليبرالي لرولز ربما لعقليّته ذات الجذور النفعيّة، فهو وجد في الليبرالية من منظوره الإيجابي علاقة منافع متبادلة لتحقيق غايات تختلف عن الغايات الأخرى، بأنها تمس بالقضايا الأخلاقية الانسانيّة. وهذا ربّما ما دفعه لتبني هذا النظام. فرولز يرى بأن حق الانتفاع من نظام يحافظ على حريات أفراده، ويحترمها، هو واجب الطاعة النابع من الرضا والقبول (رولز،2009).

كانت الليبرالية السياسية أفضل من تكفّل بالحفاظ على مبادئ الحرية، فقد انطلق هذا التيار في الأساس من قاعد إنكار العبودية لأي من الموجودات بما فيها السُّلطة، وتعزيز حرية الفرد بعد أن انتهكتها الأنظمة التي سبقت عصر الليبرالية وأفضت في النهاية إلى رفضها من قِبَل التاريخ. ذلك أن أطروحتها وافقت أهواء ورغبات، وغريزة البشر المجبولة على الحريّة.

فتبنّى كَمٌّ بشريٌّ هائل هذا الإرث التاريخي الحافل بكل التضحيات التي جرى تقديمها في العالم الغربي، ليكون ربّما من السّذاجة التفريط في كنز الحرية التي تبنته الليبرالية بعد كل هذه المعاناة مقابل أي بديل آخر. يبقى الاختلاف القائم والانتقادات الموجهة للتيار الليبرالي في مسألة الحقوق والواجبات والموازنة بينهما أمر غاية في البساطة وقابل للعلاج والتعديل أمام استعباد الفرد وخضوعه للاستبداد، وانتزاع حريته وإنكار مساواته بالآخرين، الأمر الذي قد ينتهي بفقدان حسّه بإنسانيّته التي لا يعادلها شيء.

لذلك كانت الليبرالية بصورها المعدّلة المختلفة بميزان المفاضلة عند كثير من المفكرين السياسيين هي الشكل النهائي الأفضل لاتباعه (فوكوياما،1993).

فالليبرالية لم تكن طفرة في العالم الغربي، وإنما نتجت عن تراكمات وتجارب إنسانية عبر التّاريخ البشري، فشلت فيه الأنظمة الأخرى بتوجهاتها وأشكالها المختلفة، لتبدي الليبراليّة في المقابل نجاحًا وصمودًا عززّ من انتشارها في المجتمعات التي تتعلّم وتستفيد من التّاريخ لتصنع المستقبل.

كان رولز مدركًا تمامًا للحالة التي يعيشها مجتمعه والظروف المحيطة به في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، من تمييز وعنصرية تداخلت تأثيراتها مع مخرجات الرأسمالية والنفعيّة التي ساء تقديرها، وتم التغول بحجتها على المقابل الضعيف من أبناء المجتمع. فمنذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام 1945 ازدادت الطبقيّة في المجتمع الغربي وبالتحديد مجتمع رولز الأمريكي فزاد ثراء طبقات معينة على حساب طبقات أخرى تقبع في الفقر وانعدام حالة التوازن والعدالة الاجتماعية بمباركة يمينية متطرفة لما كان سائدا آنذاك، ومعارضة يساريّة وقف بينهما الفيلسوف الأمريكي رولز حائرًا يريد إحياء العدالة الاجتماعيّة مقابل الحفاظ على ليبرالية وديمقراطية الوضع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه.

لعبت خلفيّة رولز العلميّة والثقافيّة المتنوعة دورًا محوريًّا في المكانة المتميزة والعطاء الكبير الذي حققّه للإنسانيّة. فكانت الليبرالية السياسيّة التي تغذي روافد الفكر الرولزي سببًا في إكسابه عنصر الشجاعة الذي يولّد الحزم والثّبات تجاه القضيّة التي تبنّاها، كذلك منحته الليبراليّة الجُرأة العقلانيّة في الطّرح الفكريّ والتحليلي في نظريّته. أما الجانب الفلسفي والخلفيّة السوسيولوجيّة لدى رولز فقد منحته البعد الإنساني والحس المعياري الأخلاقي المكمّل للبعد العقلاني.

بدأت رحلة رولز الفكرية ومحاولاته المتكررة في التركيز على إعادة صياغة مفهوم قيمة العدالة وارتباطاتها الضرورية بالحياة السياسية. ذلك أن رولز أدرك من خلال استفادته من التاريخ البشري الذي سبقه متوجًا بأفكار فلاسفته ومفكريه، بأن العدالة والحريّة كانت هي الضمان الأقوى تاريخيًا للمحافظة على بقاء واستقرار المجتمع.

إن الملاحظة الرولزية لِما يتهدّد المجتمع الليبرالي من غياب العدالة ونظرته الثّاقبة للمستقبل جعلته يسعى لخلق توليفة قوية بين العدالة والليبرالية كسياسة سائدة في مجتمعه آنذاك، لتدارك ما قد يؤول إليه المجتمع الليبرالي إذا استمر أفراده غارقين في الواقع المادي البعيد عن المعايير الإنسانيّة الذي سيحوّلهم إلى آلات بشريّة تعيش في مجتمع طبقي يتصارع أفراده بحثًا عن تعظيم مصالحهم الفرديّة على حساب الآخرين. فكان مسعى رولز كفيلسوف أخلاقي هو محاولة صياغة نظريّة تكفل اندماج أفراد المجتمع الليبرالي الذي يتبنى فكرة الحرية العامة كقيمة عليا للأفراد، مع المحافظة على ثوابت سيادة القانون الذي وضع في الأساس لحماية واستقرار المجتمع.

فالأفراد الذين يندمجون في مجتمع يقبل أحدهم الآخر، وينظرون جميعًا للصالح النهائي العام سيكونون أفراد عقلانيّين يوجهون قدراتهم بوعي للوصول للمنفعة المشتركة النهائية التي تضمن مصلحة وسلامة الجميع. تلك الأفكار والمبادئ كلها التي تتكفلها الليبرالية كنظام سياسي، ساعدت المفكر جون رولز على انطلاقته في مشروعه الهادف لإرساء العدالة في مجتمعه الليبرالي ليجعل منه نظامًا قويًا في وجه تحديات العصر ومستجداته.

وكان نجاح التجربة الرولزية في إعادة صياغة العدالة لدمجها كقيمة محورية في الحياة السياسية الليبرالية، والوصول لنظام سياسي معدّل في صورته الليبرالية الجديدة التي تكفل العدالة الاجتماعية، وتضمن سيادتها. فالليبرالية ولا سيّما الليبراليّة السياسيّة كانت مدخلًا لرولز في صياغة وتقديم نظريته في العدالة، كذلك كانت نظرية العدالة داعمًا ومرسخًا لهذا النظام.

إن اقتران الليبرالية بالعدالة كنظام اجتماعي إنساني أخلاقي يمس المجتمع ككل، ما هو إلا دليل واضح على أن الحريّة كركيزة أساسية لليبرالية، تبوأت مكانتها الصحيحة إلى جانب العدالة.

وعندما تترسخ جذور العدالة بمبادئها التي صاغها رولز في نظريته السياسيّة، تتعزز شرعيّة النظام الليبرالي الذي يحتضن الحرية؛ ليصل إلى حالة الاستقرار التي تكفل بعدها بقاء الحرية والعدالة معًا، تجمعهما علاقة ترابطية قوية لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى. ذلك أن الليبرالية السياسيّة –بعد التجربة التاريخية الطويلة-وحدها التي أثبتت قدرتها على الدفاع عن سيادة القانون للمؤسسات الديمقراطية، واحترام الحقوق والحريات الإنسانية التي بدونها لا وجود أو معنى لأي حديث عن التقدم او الاستقرار المجتمعي المطلوب في مجتمعات الرفاه التي سعت إليها الولايات المتحدة والغرب لتمثيل النموذج الإنساني الحديث.

بناء على ما سبق، فإن أفضل طريقة لفهم الشرعيّة والقبول والسيادة للنظام السياسي في الغرب كما أشار الدكتور محمد عصفور إلى أنه لا يمكن أن تكون بعدّ النظام مبدًا قانونيًا خالصًا؛ وإنما هو تصور ديمقراطي يعتمد القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية العليا وفي مقدمتها حرية الإنسان وكرامته (زريق، 2016).

2.2الحرية في الفكر السياسي الرولزي

الحريّة هي الحالة التي يتصرف فيها الفرد بمحض إرادته، دون إجبار أو إكراه، ودون وجود أي مبرر سوى القدرة الذاتية على التصرف. فالحرّ هو ذلك الشخص الذي يفعل ما تمليه عليه إرادته، وليس إرادة الآخرين، فهو ليس بالعبد ولا بالسجين. يمتد مفهوم الحرية إلى ثلاثة مستويات:1-مستوى عام، يشمل البشر وغير البشر من جمادات وغيرها.2-مستوى سياسي واجتماعي: علاقات الفرد مع المجتمع والنظام السياسي المتمثل بالحكومة.

3-المستوى الداخلي للإنسان: مبادئ وقوانين داخلية تحكمه. فمثلًا يسير الجسم حسب ما يتناسب مع طبيعته، بسرعة تتناسب مع الزمن، إذا لم تؤثر فيه قوى خارجية تجبره على تغيير مساره (الهلالي ولرزق،2009).

والحرية كذلك مفهوم يحمل في أبعاده تعارضًا مع الجنون والحتمية واللاشعور، والتهور والانفعال الغريزي الذي يدفع إلى اتخاذ قرارات بعيدة عن العقل والتفكير. فهي تلامس الحس الاخلاقي والعقلي، وتنأى عن التزمت والجهل والفوضى والدوافع الهائمية. (الهلالي ولرزق، 2009).

الحرية قيمة إنسانيّة اعتبرها الفيلسوف الألماني فيلهلم فون همولت شرط مهم من ضمن الشرطين الرئيسيين لتقدم وتطور البشرية، بالإضافة للتعددية واختلاف المواقف (مل،1996).

ميّز كانط وبرلين بين نوعين من الحرية،1-الحرية السلبيّة: غياب القيود، وتمتع الفرد بحقوقه ضمن الإجراءات المتاحة، وترجع في صلاحياتها للفرد نفسه.2-الحرية الإيجابية: إمكانيّة التصرف بطريقة تتحكم في حياة الفرد بما يتلاءم مع تلبية حاجاته، وترجع صلاحياتها إلى المجتمع ممَثلًا بمؤسساته.

يستخدم كثير من الفلاسفة السياسيين والاجتماعيين مصطلح الحريّة كبديل لمصطلح الليبراليّة، على الرغم من بذل جهود معينة للتمييز بينهما، يواجه هذا التمييز بعض الصعوبة.

فالليبراليّة والحرية كلاهما يستندان على الاستقلاليّة الذاتيّة.(John Rawls ,https://plato.stanford.edu)

من التعريفات المختلفة للحريّة يتبين بأن الهدف من الحرية يتجلى في كونها امتياز من الخالق للإنسان حتى يكون مسؤولًا عن أعماله وتصرفاته، ولا يشاركه في المسؤولية أو يتحمل عبئها أحد غيره فيتنصل من العقاب أو الجزاء الذي يترتب على أعماله. استنادًا إلى هذا المنطق فإن الحرية منحة إلهية وحق طبيعي للإنسان، لا يحق لأي كان انتزاعه، لأن هذا يتخالف مع القانون الطبيعي وبالتالي ستكون عواقبه غير محمودة.

إن حرمان الشخص من أي حق من حقوقه في المجتمع يعدّ أمرًا غير عادل على وجه العموم. إلا أن هذا الحق لا بد أن يدخل تحت غطاء العقل العام الذي يحكم بمدى استحقاقية الفرد. كما يجب أن تندرج الحقوق للأفراد تحت بند المساواة والإنصاف التي هي القضيّة الجوهرية لماهيّة العدالة. فالحريّة تتداخل مع العدالة في المجتمع، في أبسط صورها ذلك أنه عندما يكون للفرد حق نابع من حريته ومتوافق مع إنسانيته، فان عليه- من باب العدالة والمساواة مع المجتمع-واجب تجاه الآخرين يحقق من خلاله المنفعة المتبادلة التي تفضي في النهاية إلى الإنصاف والشعور بالرضا اللذان بدورهما يضعفان طاقة العداوة والفساد للوصول أخيرًا لحالة الأمن والاستقرار ضمن مجتمع عادل. وهذاه الفكرة استطاع رولز تبريرها من خلال مبدأ المعاملة بالمثل الذي يقبل فيه الفرد العقلاني الحر لنفسه ما يقبله للآخر.

إن فكرة حرية اتخاذ القرار واحترام الرأي العام والضمير الإنساني، التي ترتكز على نظرية الاختيار العام التي انتهجها رولز كنظرية عقلانية عمليّة لإعادة صياغة العدالة كإنصاف؛ تفترض بأن قيام الدولة بأي عمل قسري- حتى إن كان لمصلحة الفرد-فإنها تكون قد فوتت عليه، بل وحرمته فرصة التمتع بحقه في حرية الاختيار الذي كان سينجزه بطريقة أفضل إذا ما قام به بمحض إرادته بمقتضى الجانب الأخلاقي الإنساني. لذلك لا يمكن إعطاء أي تقديم مقنع للحرية إذا لم يجري فيه النظر للفرد بعدّه جزءًا أساسيًا فاعلًا، يعيش في علاقة تبادلية تعاونية في مجتمع يحترم حرية الأفراد ضمن إطار احترام الحقوق والواجبات. (مل، 1996).

وهذا ما انتهجه رولز كجانب عملي في نظريته العدالة كإنصاف حيث كانت نظرية الاختيار العقلاني حاضرة كإطار تحليلي اعتمده رولز للوصول لمبادئ العدالة في نظريته.

إن المبادئ التي وضعها الفيلسوف السياسي الأمريكي جون رولز في نظرية العدالة كإنصاف تعدّ الحجّة الأقوى لتعزيز وترسيخ الحريّة في المجتمع لضمان استقراره وتقدمه.(رولز،2009).

فقد استطاع الفيلسوف السياسي رولز من خلال نظريته توضيح العلاقة الترابطية القوية بين العدالة -التي يهدف الى سيادتها في كل المؤسسات السياسية في مجتمعه –والحريّة التي لا يمكن فصلها عنها بأي حال من الأحوال، لتغدو الحرية القلب النابض للمجتمع العادل الذي تتساوى فيه الحقوق والواجبات، ويسوده القانون الذي يقف في خدمة وحماية أفراده من ظلم واستبداد الخارجين عن الطبيعة البشريّة الأخلاقية، والفطرة السليمة.

كما استطاع رولز من خلال نظريته تحديد الإطار الهيكلي الديمقراطي في المؤسسات السياسية التي تحمي بدورها منظومة الحقوق الليبرالية التي تكفل ضمان الحرية تحت مظلة العدالة المنصفة، وتعزيز روح المساواة للمواطنين كأفراد فاعلين مشاركين أحرار ومتساوين.(Mandle,J&Reidy,D.2014)

2.3العدالة في الفكر الرولزي متجسدا بنظريته في العدالة كإنصاف

شكّلت العدالة هاجسًا فكريًا بذل رولز لأجله جُلّ وقته وجهده، ساعيًا الى إعادة ارسائها في مجتمعه الليبرالي ذي الطابع النفعي المناهض تماما لفكرة المساواة والتفكير بالمصلحة الجماعية.

أصدر رولز كتابه الأول في العدالة عام 1971، ثم نقّحه وقدّمه بنسخته الجديدة عام 2001؛ ليقرن العدالة بحالة الإنصاف، التي تجعل من عدالة رولز في هذه الصياغة تتدارك كل الاعتباطات الأخلاقية والتوزيع غير المتكافئ. فتكون الفئات الأقل حظًا حاضرة بقوة في المجتمع بصورة تشعرها بإنسانيتها، وفرصها الثابتة المحميّة قانونيًا في المجتمع. أراد رولز من هذه العدالة أن تكون المخلّص للعالم الذي عاشه بتفاصيله المريرة كفيلسوف يريد فهم الواقع ومحاولة التغيير نحو الوضع الأفضل. فقد تركت الحروب وويلاتها وما حدث في هيروشيما والمحرقة دوافع قوية للفيلسوف رولز لليقظة على عالم بدأ يفقد إنسانيته ويفقد معها كل القيم والمثل الأخلاقيّة. أثّرت قيمة العدالة في الفكر الرولزي بأن غيّرت حتى في توجهاته العقائدية التي كان متمسكًا بها في بداية حياته؛ لتوجهه نحو الانفتاح للأديان الأخرى بقبول عقلاني يستند إلى التسامح الإنساني الموجود في جوهر العدالة.

بدأ رولز صياغة نظريته في العدالة بعقد افتراضي لاتاريخي، يجتمع فيه المواطنون في اجتماع عقلاني مفتوح في مجتمع ديمقراطي حرّ حسن التنظيم، لاختيار بنود هذا العقد. اقترح رولز مسميات في هذا العقد، استحضرها ليراوغ فيها مفاهيميًا؛ ولكن بنوايا طيبة محاولًا التحايل على اليساريين الاشتراكيين واليمينيين الليبراليين للتوفيق بينهما بقواسم إنسانية مشتركة كالحرية والعدالة. ومن هذه المسميات حجاب الجهل، والوكلاء وغيرها. بدأ الأفراد بالتشاور للاتفاق على مبادئ العدالة تحت حجاب الجهل الذي أراد منه رولز الحيادية والموضوعية؛ فلا يعرف الافراد بذلك أي معلوماتتدفع باتجاه الانانية أو تثير المصالح الفردية كالجاه، والسُلطة والنفوذ، والثروة، وغيرها. فيكون نتيجة ذلك وصول المتعاقدين على إجماع لاتخاذ القرارات النهائية لمخرجات العقد، ضمن إطار نظرية الاختيار العقلاني التي انتهجها رولز في نظريته لتوجيه الأفراد نحو خيارات عقلانية

معقولة من ضمن بدائل لها الاحتمالات الأسلم والأضمن للجميع بما فيهم الفئات الأقل حظا في المجتمع.

وكانت نتيجة الاتفاق على العقد الرولزي الوصول لمبدأي العدالة، وهما كما رتبهما رولز ترتيبًا معجميًا:

1-المساواة في الحريات الأساسية كالحريات السياسية المتمثلة في حرية التصويت والمشاركة السياسية؛ بالإضافة إلى حرية الفكر واحترام الذات وحماية الممتلكات. فضمان الحريّات السياسيّة والمدنيّة كما جاء في المبدأ الأول لنظرية رولز ثابت لكل فرد في المجتمع.

2-مبدا اللامساواة غير مقبول أبدًا إلا بشرطين: أ-ان تكون اللامساواة منصفة بالفرص، والمراكز والمناصب مفتوحة للجميع. ب-مبدأ الفرق الأعظم الذي من خلاله تكون اللامساواة لمصلحة الأفراد الأقل حظًا في المجتمع. (فريمان،2015).

بعدها بدأ رولز بإزالة حجاب الجهل بالتدريج، للاتفاق على باقي القضايا، والمسائل السياسية، والاقتصادية، وغيرها. إلا أن المثير للانتباه في مبدأي العدالة أن رولز اعطى أولوية الحرية كشرط مسبق لنظريته، وقيمة إلزامية مرافقة للعدالة والمساواة لا يمكن فصلها عنهما.

وبذلك تظهر العلاقة القوية التي ترتبط فيها العدالة بالحرية في الفكر السياسي الرولزي، لتكون نظرية رولز في العدالة كإنصاف تجربة إنسانية ناجحة يمكن الاستدلال المنطقي من خلالها على أهمية تزامن وجود العدالة والحرية ضمن أولويات واسس النظام السياسي، حتى تحقق كل قيمة منهما ثمارها العظيمة، ويتأتى في المحصّلة الاستقرار والأمن المجتمعي.

الخاتمة

تبيّن من تحليل نتائج الدراسة، بان هناك علاقة ترابطية قوية بين العدالة والحرية؛ استطاع فيلسوف العدالة في القرن العشرين جون رولز أن يبرزها لتتجلى انعكاساتها على النظام والمجتمع. وذلك من خلال نظرية العدالة كإنصاف؛ حيث جسّد هذه العلاقة، من خلال مبادئ العدالة التي رتّبها بترتيب معجمي لكلا القيمتين يقضي بأهميتهما معًا؛ ولكن بشيء من الأولوية. فهو بفلسفته التحليليّة المتميزة المستندة إلى أطر منهجيّة ذات صبغة أخلاقيّة، لم يغفل عن الطبيعة البشريّة ومتطلباتها في زمن المادة؛ بل إنه عززّ القيم والمثل الإنسانية كالعدالة والحرية ضمن إطار من الواقعية السياسية، التي تكفل حماية وترسيخ هذه القيم. فما كانت نظرّته في العدالة كإنصاف إلا تجسيدًا واضحًا للعلاقة بين الحرية والعدالة، اللتان استطاع بهما رولز معًا التغلب على تغول النفعيّة التي تتضارب مع العدالة. كما استطاع بهما معًا التغلب على الاشتراكيّة الراديكاليّة المقيّدة للحرية الفرديّة، والمحجمة لقدراته الذاتيّة الإبداعيّة في المجتمع الليبرالي.

وقد تبلور الإدراك اليقيني لدى رولز بوجود هذه العلاقة الترابطيّة بين قيمتي العدالة والحرية، بسبب تفكيره التحليلي الإبداعي الذي استطاع من خلاله التوفيق بين الفلسفة الأخلاقية ذات الطابع المثالي، والفلسفة السياسية بطابعها الواقعي؛ ليحافظ على النظام الليبرالي الذي انتمى إليه، وأراد المحافظة على جوهره وأُسسه الأساسية التي تحترم الحرية والاستقلالية الذاتية في ظل سيادة القانون، واحترام سلطة الدستور مع تعديلات تضمن المحافظة على الحرية وقدسيتها؛ بجعل العدالة ضابطًا معياريًا، وبنية هيكلية أساسية تدخل في بناء كل المؤسسات السياسية في المجتمع. فالعدالة والحرية عند رولز قيمتان إنسانيتان لا بد من وجودهما معًا للحفاظ على الكرامة الإنسانية التي لا يمكن المساس بها تحت أي مبرر.

أولًا: النتائج

1-الحرية والعدالة وجهان لعملة واحدة، أو كما خلص الفيلسوف جون رولز من مشروعه الإنساني في العدالة، إلى أن الحرية روح المجتمع العادل؛ فلا لا يمكن بحال من الأحوال فصل الروح عن الجسد.

2-السياسة متمثلة بالنظام والسلطة القائمة عليها وحدها القادرة على منح الإلزامية والضرورة الواقعية للقيم الإنسانية والأخلاقية في المجتمع، كالعدالة والحرية وغيرها من القيم الحساسة التي تحتاج لسند داعم يترجم مبادئها عمليًا على أرض الواقع.

3-يعدّ التزام النظام السياسي بالعدالة، واحترامه للحرية وسيلة لترسيخ كفاءة النّظام السياسيّ ومنحه الشرعيّة السّياسيّة، التي تفضي في النهاية لاستقرار المجتمع، ودفع عجلة التنمية فيه.

4-يستحق المفكر الأمريكي جون رولز ان يحتل المكانة والشهرة العظيمة التي نالها، بعدّه فيلسوف القرن العشرين، لأنه استطاع إعادة الحيوية والفاعلية للفلسفة السياسية الأخلاقية بعد فترة طويلة من السُّبات والركود. كما استطاع تناول ودراسة القيم الإنسانية الحساسة في مجتمع تعلوه قلعة النفعية، التي تتصدى بمبادئها الرأسمالية والفردية لكل جديد ولكل مبدأ يحد من تغولها في المجتمع كالعدالة، واحترام الحرية الجماعية في بيئة تعاونية منظمة.

ثانيًا: التوصيات

1-لا بد لاي نظام سياسي يريد الاستقرار والتوافق مع كافة أطياف المجتمع، بغض النظر عن شكل وايديولوجية هذا النظام التزام العدالة في كل جوانب الحياة تحت غطاء عقلاني ومعقول من الحريّة الإنسانية المسؤولة؛ التي أجمع الفلاسفة والمفكرين على مر التاريخ على أهميتها، وأكدت كل تجارب الحقل التاريخي على مكانتها الجوهرية. وبذلك تتعزز شرعية النظام بزيادة كفاءته، بتحقيق الاستقرار في المجتمع.

2-إن معظم النزاعات والصراعات في المجتمعات ذات الأنظمة غير الديمقراطية، ما هي إلا نتيجة إغفالها أو تغافلها للقيم الإنسانية وفي مقدمتها الحرية والعدالة. فشرعيّة النظام السياسي تعتمد على مدى احترامه لحقوق الإنسان المستمدة من كرامته الإنسانية التي لا يمكن حمايتها إلا بضمان تحقيق الحرية، التي تزول كل إشكالياتها بوجود وترسيخ العدالة.

3-يمكن عدّ الفلسفة السياسيّة الأخلاقية الرولزية؛ متجسدة بنظرية رولز السياسية في العدالة بكل ابعادها الأخلاقية مرجعًا مهمًا في الفلسفة السياسية الأخلاقية، وبيئة خصبة للأبحاث والدراسات الفلسفية السياسية ذات الابعاد الإنسانية.

المصادروالمراجع

الأنصاري، ب. (2016). *قياس السمات الشخصية*. (ط1). القاهرة: دار الكتاب الحديث.

الرفاعي، ع. (2018). *الدين والنزعة الإنسانية*. (ط3). بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.

ركح، ع. (2019). *الشرعية الديمقراطية: من التعاقد إلى التواصل،هيبرماس في مواجهة رولز*. (ط1). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

رولز، ج. (2009). *العدالة كإنصاف إعادة صياغة*. (ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

رولز، ج. (2011). *نظرية العدالة*. (ط1). دمشق:الهيئة العامة السورية للكتاب.

زريق، ب. (2016). *الكرامة الإنسانية*. (ط1). دمشق.

السيف، ن. (2017). *أسس الحرية في الفكر الغربي*. (ط1). شبكة مشكاة الإسلامية.

فريمان، ص. (2015). *اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة جون رولز نموذجًا*. (ط1). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة الأبحاث.

فوكوياما، ف. (1993). *نهاية التاريخ والإنسان الأخير*. لبنان: مركز الإنماء القومي.

مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط*. مصر:مكتبة الشروق الدولية.

ميل، ج. (2012). *النفعية*. (ط1). بيروت: مركز الوحدة العربية. -

ميل، ج. (1996). *أسس الليبرالية السياسية*. القاهرة: مكتبة مدبولي.

الهلالي، م.، ولرزق، ع. (2009). *الحرية*. (ط1). المغرب: دار توبقال.

البجدياني، ي. (2021). نظرية العدالة كإنصاف عند جون رولز. *مجلة حكمة*.

بيتر، ف. (2020). الشرعية السياسية. *مجلة حكمة، موسوعة ستانفورد للفلسفة*، 6.

تتيات، ع. (2018). الذات بين التقدير والاحترام عند جون رولز. *مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية*، 13.

ضاهر، ع. (2014). الليبرالية السياسية في فلسفة جون رولز. *مجلة ألباب، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود*، 1، 24-50

References

Rawls, J. (2002). The Law of Peoples: With" The Idea of Public Reason Revisited,". *PHILOSOPHY EAST AND WEST*, *52*(3), 396-396.

Rawls, J. (1999). A Theory of Justice (rev. ed., Harvard University Press).

Rothenberg, A. (1971). The process of Janusian thinking in creativity. *Archives of general psychiatry*, *24*(3), 195-205.

Wenar, L. (2008). John Rawls, 4.3: The two principles of justice as fairness. *The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2008 Edition). Retrieved from http://plato. stanford. edu/archives/fall2008/entries/rawls*.